الارهابيَّة في دمشق وبعض المدن والقى القبض على زعماء الدروز ومئات من رجالهم فوُضعوا في السجن . وتألفت لجنة دولية لسنّ نظام جديد في جبل لبنان. وقد كان ممثلو فرنسة يريدون إعادة الحكم الوطني الى جبل لبنان وكانوا يرشحون لذلك المنصب زعيم الامراء الشهابيين وقتئذٍ وهو الامير مجيد حفيد الامير بشير الثاني الكبير قاصدين ان يستمرّ المنصب بالارث في الاسرة الشهابية . فقطن فؤاد باشا للامر وقد كان عيّن عند قدومه الى سوريَّة يوسف بك كرم وكيلاً لقائمقامية النصارى قصْدَ إثارة الاحزاب بين النصارى لانهُ ليس من عائلات اصحاب الاقطاع فلا فاةً لتولية الشهابيين وعد يوسف بك كرم سراً بتعيينه حاكماً لكل الجبل اذا تمكّن من عمل عريضة موقّعة بامضاءات اهالي الشمال الموارنة يعترضون فيها على ترشيح الامير مجيد وعدم قبولهم بهِ حاكماً . ففعل وقدّم لهُ عريضة بهذا المعنى عليها الوف من التواقيع التي لا يصعب على وكيل السلطة نيلها خصوصاً من قِبل اناس اكثرهم يجهلون القراءة والكتابة . فتلّح فؤاد باشا واللورد دوفرين المعتمد الانكليزي بهذه العريضة معاكسةً لقبول مرشّح فرنسة واستندا عليها لمنع تعيين حاكم وطني . واسفرت المسألة عن تعيين داود باشا على حكومة لبنان الجديدة التي دُعيت متصرفية وذلك في ٩ حزيران ١٨٦١ . وهكذا سقطت امنية فرنسة والموارنة باعادة حكم جبل لبنان بالارث الى امير ماروني وخابت مطامع يوسف بك كرم. كلُّ ذلك بدهاء فؤاد باشا ولسبب اختلاف معتمدي الدول

صدى مذبحة القديس برتلماوس

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كتب لنا قبل الشهر بعض كبنة الاقباط في مصر انَّ احدى الجرائد هناك نشرت فصلاً في مذبحة القديس برتلماوس ونسبت هذا الحادث الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وابنائها فطلبوا منَّا ان نميط الستار عن هذه الواقعة ونروي غشّها من سمينها . فتأخرنا

الى اليوم عن الجواب لتظهر مقالتنا في شهر آب الذي في غضونه وقعت تلك المذبحة الشهيرة . وها نحن نقسم بحثنا ثلاثة اقسام نبيّن في الاوّل : ما هي مذبحة القديس برتلماوس . وفي الثاني : ماذا كان سببها . وفي الثالث : هل الكنيسة الكاثوليكيّة فيها حصّة

١ ما هي مذبحة القديس برتلماوس

في ليلة اليوم الرابع والعشرين من السنة ١٥٧٢ قبل تبلّج صباح عيد الرسول القديس برتلماوس صدر من بلاط ملك فرنسة شرل التاسع امرٌ فظيع قام به جندهُ وهو اغتيال البروتستانت الفرنسويين وقتلهم في بيوتهم . وكان عدد عديد منهم قد اجتمعوا في باريس ليحضروا حفلة زواج زعيمهم هنري من ناڤارّة الذي صار بعد ذلك ملكاً فعُرف بهنري الرابع مع الاميرة مرغريتا من اسرة ڤالوا

فقُتل في تلك الليلة كثيرون من المتنين الى شيعة كلوينوس ثم بلغت الاوامر الى مدن اخرى فاستباح الناس دماء البروتستانت في عدّة امكنة وقد اختلف في عدد القتلى في العاصمة وانحاء البلاد فمنهم من بلّغهُ الى ١٥،٠٠٠ بل الى ٢٠،٠٠٠ ومنهم من اهبطهُ الى الفين بل الى اقلّ من ذلك . وما لا شكّ فيهِ انّ البروتستانت سنة ١٥٨٢ أجروا التحقيقات في ذلك لينظموا اسماء القتلى في سنكسارهم فلم يجدوا لكل فرنسة الّا اسماء ٧٨٦ رجلاً منهم ١٥٢ في باريس والله اعلم

تلك هي المذبحة المستبيحة المنسوبة الى القديس برتلماوس لوقوعها في يوم عيدهِ والتي يطبّل ويزمّر بها اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة كأنّها هي المسئولة بوقوع ذلك الاثم الفظيع . وما هي في الحقيقة الّا احدى التهم الباطلة التي يقرّع بها اعداء الدين الكنيسة الرومانيّة فيردّدها الصحافيّون كالببغاء كما يفعلون بديوان التفتيش ومسألة غليلاي وغير ذلك من الاراجيف التي فنّدناها سابقاً

٢ ما هي اسباب مذبحة القديس برتلماوس

انّ السبب الاوّل لوقوع هذه المذبحة انّما هم البروتستانت نفسهم المعروفون بالهوغنوت (Huguenots) فانّهم بانتمائهم الى بدعة كلوينوس وتعصّبهم على

الكاثوليك وارتباطهم سرًّا مع اعداء وطنهم لاسيما مع اليصابات ملكة انكلترة التي دعاها رئيسهم الاميرال دي كوليني (de Coligny) والامير كوندة (Condé) الى مساعدتهم في محاربة الكاثوليك مشترطين على نفسهم بان يسلموا الى انكلترة مدن الهاثر ودياپ ورُوان بخيانة فظيعة

وكان السبب الثاني ما ارتكبهُ البروتستانت في كل انحاء فرنسة من المآثم المستفظعة فانهم منذ السنة ١٥٦٠ كانوا يطرقون معاملات فرنسة كنورمَندية والدوفيناي وبروڤنسة فيقتلون ويسلبون ويحرقون وينتهكون حرمة الكنائس والاسرار ويغصبون الناس باللكم والضرب على حضور خطب روَسائهم الكافرة حتى انَّ الشعب هاج وماج وقد رأى ضعفًا في الحكومة لكبح جماح اولئك الاشرار عليهم وودَّ لو يتاح لهُ ان يعاملهم بالمثل

وكان السبب الثالث للمذبحة المذكورة مذبحةً أخرى باشرها البروتستانت غيلةً قبل مذبحة باريس سنة ١٥٦٩ في ذات يوم عيد القديس برتلماوس في مدينة «پو» (Pau) فقتلوا ألفين من اهلها الكاثوليك المستوطنين فيها بأمان . وكان زعيم البروتستانت الكونت مونغمري (Mongomerry) فجاء الى باريس يتبجَّح بفعلهِ دون ان يجسر فتقم احد على كسر شوكتهِ

وكان السبب الرابع وهو السبب القريب لمذبحة القديس برتلماوس الباريسيَّة انَّ الاميرال دي كوليني اخذ يتقرَّب الى الملك شرل التاسع ويتحبَّب اليهِ ليجذبهُ الى طرفهِ والى جانب حزبهِ فصالحهم الملك وهو اذ ذاك شابٌّ غرٌّ شرس الاخلاق مائل الى الشهوات . وكانت امّ الملك ماري دي ماديشيس ايطاليَّة الجنس رزينة بصيرة في الامور فخافت ان يقع ابنها في شرك اعداء الدولة فانذرتهُ فلم ينتبه فعزمت على قتل الاميرال سرًّا دون ان تكشف قصدها لاحدٍ الَّا ان المكيدة لم تأتِ بنتيجةٍ مُرْضية فدخلت على ابنها بغتةً مع وزراء المملكة وضبَّاط الجندية فأنبأتهُ بمقاصد رؤساء البدعة البروتستانيَّة الذين لم يكتفوا بمحاربة الدين وارباب بل دسُّوا مكيدةً لشخصهِ ليسقطوهُ عن عرش آبائهِ . وأمَّن الوزراء على قول الملكة وبيَّنوا الروابط التي تربط البروتستانت باهل شيعتهم في انكلترة وهولندة فتخوَّف الملك من هذه المكاشفات واقنعوهُ بان اقرب واسطة للنجاة من شرّهم ان يسبق ويكيدهم قبل

ان يفتكروا به فأصدر الامر بتلك المذبحة المستقبحة التي سوَّدت صحيفةً من سيرة الملكة ماري دي ماديشيس والملك شرل ابنها وان كان لهما بعض العذر في ما اجتناهُ البروتستانت في حقّ الدولة وكان الاولى بهما ان يدعُوَا الى المحاكمة اولئك المذنبين لولا خوفهما من مؤامرة المبتدعين وتهييجهم لانصارهم

٣ هل الكنيسة مسئولة عن مكيدة مذبحة القديس برتلماوس

يزعم اعداء الدين بان للكنيسة حصَّةً في هذه المذبحة فهي مسئولة عن وقوعها او انها على الاقلّ صدَّقت عليها وبرَّرتها . فنجيب على الاوَّل ان الكنيسة واربابها جهلوا سلفاً وقوع تلك المذبحة وعلى الثاني انهم لم يستحسنوها بعد حدوثها

١ قد جهل ارباب الكنيسة المذبحة قبل وقوعها

١ قد اتَّفق اليوم المؤرخون البروتستانت كالكاثوليك على انَّ مذبحة القديس برتلماوس كانت امرًا سياسيًا بحتاً لا علاقة لهُ مع الدين كما رأيت من الاسباب التي ذكرناها في الفصل السابق

٢ ان المذبحة المذكورة صارت على بغتة بعد شورى سرِّيَّة لم يحضرها احد من ارباب الكنيسة عُقدت في قصر لوفر مؤلَّفة من الملك والملكة وارباب الجندِيَّة ورؤسائها واسمائهم معروفة في التاريخ . حملهم على المبادرة الى ذبح اعدائهم خوفهم من مؤامرة بروتستانتيَّة اشاعوا خبرها غايتُها الفتك بالملك وبكل انصاره فصرخ الملك : ان كان قومٌ من شعبي يتآمرون عليّ ويعمدون الى تقويض سلطتي فما نصيبهم الَّا الهلاك

اما ما جاء في احدى الروايات بان شرل كردينال لورين بارك في باريس خناجر التتَلة قبل خروجهم الى ذبح البروتستانت فذلك كذبٌ محضٌ لا سند لهُ اذ كان وقتئذٍ الكردينال المذكور في رومية بعيدًا عن موقع الملحمة

على انَّ البعض احتجُّوا لتهمة الكنيسة برسالة كتبها البابا القديس بيوس الخامس الى الملك شرل يحضُّهُ على محاربة البروتستانت . الجواب على ذلك انَّ الحبر الاعظم لمَّا بلغهُ ما يقترفهُ البروتستانت في فرنسة من المآثم وهدم الكنائس وقتل الكهنة كتب الى الملك شرل في السنتين ١٥٦٩ و١٥٧٠ يدفعهُ الى محاربتهم حرباً شرعيَّة

منظمة ليعيد السلام الى مملكته ولكنَّهُ لم يحملهُ على اغتيالهم وذبحهم سرًّا لا بل اذ أخبر سنة ١٥٦٧ بانَّ الملك يريد ان يفتك سرًّا باحد زعمائهم كتب اليهِ البابا يقبح فعلهُ ويردّهُ عن فكرهِ المنافي للعدل. ومِمَّا يدلّ على نيَّة الحبر الاعظم انَّهُ لم يشأ قتل البروتستانت اغتيالًا انهُ لم يسمح هو وخلفهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر بزواج الامير هنري دي نفارة البروتستاني مع الاميرة مرغريتا الكاثوليكيَّة وهي الحجَّة التي توسَّلت بها الملكة لاستدعاء البروتستانت الى باريس والفتك بهم. فلو وقف البابا على فكرها لكان على خلاف منعهِ الزواج سمح بهِ لخداع البروتستانت. فصحَّ اذن قولنا بان ارباب الكنيسة جهلوا مذبحة القديس برتلماوس قبل وقوعها

٢ لم يصدّق الاكليروس الكاثوليكي على حادثة المذبحة بعد وقوعها

هي التهمة الثانية التي وجَّهها البعض الى الكنيسة فقالوا: نعم انَّ الاكليروس الكاثوليكي لا نصيب لهُ بملحمة القديس برتلماوس لكنَّهُ سُرَّ بها وقدَّسها بعد حدوثها. ويؤيدون قولهم على شاهدَيْن محسوسين الاوَّل انَّ اكليروس باريس قدَّم ثاني يوم الملحمة فرائض الشكر لله على وقوعها. والثاني انَّ البابا غريغوريوس الثالث عشر كتب الى ملك فرنسة يهنيهِ على ما جرى وصوَّر في قاعات الڤاتيكان ملحمة القديس برتلماوس. أفليس هذا كلُّهُ دليلًا على انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة حبَّذت هذه الملحمة الشنيعة ؟

نجيب على ذلك انَّ فرائض الشكر لله التي قدَّمها اكليروس باريس لم تكن غايتها فرحهم على مذبحة البروتستانت بل اجابة الى ملتمس الملك الذي اشاع في كل انحاء الدولة انَّهُ نجا من مكايد اعدائهِ بينما كانوا تآمروا على قتلهِ فسبق واستدرك الامر بردّ كيدهم في نحرهم فطلب من الاكليروس ان يشكروا الله على نجاتهِ ففعلوا

وكذا جرى للبابا غريغوريوس الثالث عشر الذي خُدع برواية السفير دي بوڤيليه (Beauvilliers) فان الملك اوفدهُ مسرعًا الى رومية ليخبر الحبر الاعظم بنجاتهِ من المؤامرة التي ابرمها عليهِ اعداؤهُ البروتستانت فأوقع بهم دفاعًا عن نفسهِ. والاوراق الرسميَّة التي دارت وقتئذٍ بين الحبر الاعظم والملك موجودة الى اليوم في سجلَّات

الڤاتيكان نشرهـا الاثري بوتاريك (D. M. Boutaric) في مجموعة مكتب السجلات سنة ١٨٦٢ (ج ٣ ص ١–٣٧) تثبت جهل البابا غريغوريوس بكيفية الملحمة وانّـهُ تصوّرها كفعل دفاعي. وهذا ما حمل البابا على تهنئة الملك بخلاصه بل اراد ان يخلّد ذكر هذه النعمة برسم الملحمة على جدران الڤاتيكان. فالداعي اذن على فرح البابا علمهُ بنجاة الملك ليس بقتل البروتستانت اغتيالاً ولمّا وقف بعد مدّة على حقيقة الامر استقبحهُ وذرف الدموع على القتلى

ومما يدلُّ ايضاً على براءة الكاثوليك انّهم في امكنة عديدة خلّصوا البروتستانت من المذبحة وخصوصاً في تولوز حيث فتح الرهبان ديرتهم فالتجأ اليها البروتستانت ونجوا من القتل. ودافع عنهم اسقف مدينة ليزيو. وكان البروتستانت في مدينة نيم في السنتين ١٥٦٧ و ١٥٦٩ قتلوا عدداً عديداً من الكاثوليك فأسرع هؤلاء وآووا في بيوتهم الكلونيين وخلّصوهم من كلّ اذى رادّين الخير بدلاً من الشرّ

ومن غريب ما جرى في تلـك الملحمة انَّ الجند المرسلين من الملك لقتـل البروتستـانت قتلوا معهم كثيرين من الكاثوليك امّا جهلاً واما تجاهـلاً لغايات شخصيَّة. واتّخـذ اوباش الشعب تلك الحادثـة وسيلةً للانتقام وللارباح الخسيسة المستهجنة

ومن العجب العجاب انَّ الذين يطنطنون دائمـاً بمذبحة القديس برتلماوس يضربون الصفح عن ملاحم البروتستانت التي تكاد تُنسي ملحمة باريس كمذبحة البارون ديزادراي(le baron des Adrets)الذي في واقعة واحدة قتل خمسة آلاف من الكاثوليك لدفاعهم عن دينهم . وما قولنا بهنريكوس الثامن ملك انكلترة الـذي حكم بالاعدام على ما ينيف على سبعين الفاً منهم . فاين العدل في كل هذه المرويات ؟

هذه خلاصة اخبار تلك الملحمة الشهيرة التي كانت مؤامرةً سياسيـة لا دَخل للدين فيها على خلاف ما كتبهُ البستاني في دائرة المعارف (٥ : ٢٩٨) ومـا نشرتهُ زوراً النشرة الاسبوعيَّة . وكلّ ما كتبناهُ هذا مبنيّ على اصدق واوثق الكتابات الرسميَّة التي ازالت بعد نشرها كلّ شبهة في هذه الواقعة المزلة التي رذلتها الكنيسة كما ينفر عنها كلّ صاحب ضمير